وقامت الطوائف غير المسلمة بإحياء هذه المدارس وإصلاحها[٥٠]، أما المدارس الأجنبية فقد تأسست هي الأخرى حيث كانت تطبق نفس المناهج والكتب المقررة في الدول التي تعود إليها هذه المدارس، إلا إنها لم تستمر على ذلك، فبمرور الزمن أصبحت وزارة المعارف العثمانية تشرف عليها أيضا[٥١].

من الواضح ان هذه المحاولات الإصلاحية في مجال التربية والتعليم في الدولة العثمانية تأخرت بالوصول إلى كوردستان وتأخر فتح المدارس الرسمية العثمانية (على الأقل في الفترة موضوعة البحث)، لذلك فبعد فتح المدارس الرشدية في استنبول انتشرت في الولايات العثمانية الأخرى وخاصة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ففي ولاية الموصل كانت هناك أربع مدارس منها في الموصل والسليمانية وكركوك وروانذز[٥٢].

الهوامش

(١) إبراهيم خليل احمد، حركة التربية والتعليم في: موسوعة الموصل الحضارية، الموصل، ١٩٩٢، المجلد الرابع، ص٣٣٣.

(٢)

Kinnane، Op. Cit، P7.

(٣) تقول الدكتورة ماري التي زارت منطقة أرضروم عام ١٨٧١م بأنه لم تكن هناك مدارس متوفرة وكان عدد الذين يستطيعون القراءة ضئيلا. ماري ملز باتريك، سلاطين بني عثمان الخمسة، ت: حنا غصن واخرون، بغداد، ١٩٣٣، ص٣١.

(٤) شيركوه، المصدر السابق، ص ٢٨.

(٥) محمد الخال، البيتوشي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٨، ص٢٠.

(٦) كاوه فريق احمد، المصدر السابق، ص ١٨٨ : محمود احمد محمد، الحالة الثقافية في كوردستان، مجلة كاروان، العدد ٣٥، ١٩٨٥، ص ١٢٦.

(٧) ئه وليا جه له بي، المصدر السابق، ص ص ٢٨٢-٢٨٤.

(٨) محمد زكي حسين احمد، إسهام علماء كوردستان العراق في الثقافة الإسلامية، اربيل، ١٩٩٩، ص٢٢ : محمود احمد محمد، المصدر السابق، ص ص ١٢٤-١٢٥.

(٩) محمد الخال، الشيخ معروف النودهي ....، ص١٨.

(١٠) الحياة الجامعية في كوردستان، ت: هجار إبراهيم، مجلة متين، العدد ٧٥، دهوك، ١٩٩٨، ص٩٧.

(١١) كنموذج لاثر ذلك الصراع على المدارس، ينظر الملحق رقم (٧).

(١٢) محمد احمد مصطفي الكزني، الشيخ نور الدين البريفكاني. حياته، أثاره، شعره، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٠ : محمدى مەلاكەريم ،فەقى وفەقييەتى له كوردستانى جاران دا، كۆڤارى بەيان، ژمارە ٨، بەغدا، ١٩٧٣، ص ص ٥١-٥٢.

(١٣) محمد زكي حسين احمد، المصدر السابق، ص ص ٢١-٢٢ : إبراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق (١٨٦٩-١٩٣٢)، البصرة، ١٩٨٢، ص٢٦.

(١٤) عبد الجبار محمد الجباري، ئافرەتە ناودارەكانى كورد، د.م، ١٩٦٩، ص٦٧.

(١٥) إبراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص ٢٧.

(١٦) وهي كلمة فارسية ترمز إلى الشغوف بالعلم والسعي. محمد زكي حسين احمد، المصدر السابق، ص ٦٨.

(١٧) محمد زكي حسين احمد، المصدر السابق، ص ٢٢: إبراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص ٢٧ : زبير بلال إسماعيل، علماء ومدارس في اربيل، مطبعة الزهراء الحديثة، الموصل، ١٩٨٤، ص١٦.

(١٨) محمد زكي حسين احمد، المصدر السابق، ص ٢٢.
(١٩) المصدر نفسه، ص ص ٢٢-٢٣. ينظر الملحق رقم (٨).
(٢٠) تحسين إبراهيم الدوسكي، المدخل لدراسة الأدب الكوردي المدون باللهجة الشمالية، جـ٢، د.م، ١٩٩٣، ص١١.
(٢١) برونسن، المجتمع الكوردي ...، ص١٤ : بيشكجي، النظام في الأناضول ...، ص ١٢٣ : وصفي حسن رديني، التراث الثقافي في بهدينان، مجلة شمس كوردستان، العدد ٦٧، ١٩٨٤، ص٨.
(٢٢) زكي، تاريخ السليمانية ...، ص ١٣١ : محمود احمد محمد، شاعر باباني، مجلة كاروان، العدد (٥٠)، ١٩٨٦، ص ١٥١.
(٢٣) محمد الخال، الشيخ معروف النودهي، ص٣٥.
(٢٤) انور المائي، الفردوس المجهول ...، ص ٧١ : صلاح محمد سليم محمود الهروري، إمارة بوتان في عهد الأمير بدرخان ١٨٢١-١٨٤٧، دراسة تاريخية سياسية، رسالة ماجستير مقدمة لمجلس كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، ١٩٩٨، هامش ص ١٠٧ : هياس كاكه يي، آل بدرخان ونشاطاتهم الثقافية، مجلة كولان العربي، العدد ٢٥، ١٩٩٨، ص ٨٧.
(٢٥) با يه يزدي، المصدر السابق، ص ٩ : جودت هشيار، الملا محمود البايزيدي، جريدة خه بات، العدد ٩٤٧، ١٩٩٩، ص١١.
(٢٦) محمد الخال، الشيخ معروف النودهي، هامش ص ١٠٣ : احمد عثمان أبو بكر، محمد بن أدم العالم الكردي الكبير، مجلة شمس كردستان، العدد ٦، ١٩٧٣، ص ص ٢٤-٢٦.
(٢٧) يذكر عبد السلام رؤوف بأنه ولد سنة (١٧٨٥م). ينظر مؤلفه: التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر الحديث، بغداد، ١٩٨٣، ص ١٨٩ : للتفاصيل عن حياته ينظر: الكزني، المصدر السابق.
(٢٨) محمد أمين زكي، مشاهير الكرد وكردستان، ت: كريمته، بغداد، ١٩٤٥، جـ٢، ص٢٢٢ : عبد الفتاح على يحيي، الملا يحيي المزوري وسقوط إمارة بادينان، مجلة كاروان، العدد ٤١، ١٩٨٦، ص ١٤٩ وما بعدها : خليل مردم بك، أعيان القرن الثالث عشر، بيروت، ١٩٧٧، ص١٦٨.
(٢٩) جمعية علماء كوردستان، علماء أكراد، الرياض، ١٤١٢هـ، ص ص ٧٣-٧٤.
(٣٠) للتفاصيل عن دور وحياة هؤلاء العلماء وغيرهم ينظر: محمد الخال، الشيخ معروف النودهي : محمدي خال، مفتى زهاوى، چاپخانەى معارف، بەغدا، د.ت، محمد على القره داغي، الشيخ عبد الله الخرباني من خلال مخطوطات مكتبته، مجلة المجمع العلمي الكردي، العدد ٢، ١٩٧٤، ص٢٣٩ وما بعدها : مەتين علماء كردستان في كتاب معجم المؤلفين، مجلة مەتين، العدد ١٤، دهوك، ١٩٩٩، ص ٢٠٢ وما بعدها.
(٣١) صادق بهاء الدين ئاميدي، هوزانڤانێت كورد، بەغدا، ١٩٨٠، ص ٣٥٥ وما بعدها وپەرتويى هەكارى دار الحرية للطباعة، به غدا، ، ١٩٧٨، ص١١ وما بعدها. ورغم ان ئاميدي لم يثبت

تاريخ ولادة ووفاة الشاعر إلا إنها وردت في: صديق بوره كەيى (صفى زاده)، ميژووى ويژەى كوردى، تبريز، جـ١، ص ٥٥٥.

(٣٢) يحدد علاء الدين سجادي فترة حياته بـ(١٧٩٧-١٨٥٥م). ميژووى ئەدەبى كوردى،بەغدا، ١٩٧١، ص٢٤٠.

(٣٣) مؤسس الأدب الكردي الحديث في كردستان الجنوبية، مجلة شمس كردستان، العدد ٥-٦، ١٩٧١، ص ١٤. وللتفاصيل عن حياته وشعره ينظر: مارف خەزنەدار، ديوانى نالى وفەرهەنگى نالي، دار الحرية للطباعة، به غدا، ١٩٧٧، ص ٣ وما بعدها : سجادي، المصدر السابق، ص ٢٤٠ : زكي، خلاصة، ص ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٣٤) للتفاصيل عن القصيدة والقصيدة الجوابية ل، (نالي) ينظر: علاء الدين سجادي، دوو چامەكەى نالى وسالم، چابخانەى مەعاريف، بەغدا، ١٩٧٣، ص ٧ وما بعدها

(٣٥) سجادى، ميژووى ئەدەبى كوردى، ص ص ٢٦٢-٢٦٤.

(٣٦) سجادى، ميژووى ئەدەبى كوردى، ص ٣٢٧ وما بعدها.

(٣٧) خزنه دار، مؤسس الأدب الكوردي، ص١٦.

(٣٨) زكي، مشاهير ...، جـ ٢، ص ٢٣٧ : الجباري، المصدر السابق، ص ٥٩.

(٣٩) سجادى، ميژووى ئەدەبى كوردى، ص ص ٢٧٦-٢٧٧، ٣٤١-٣٤٢.

(٤٠) ماليبارد ،نواعير الفرات أو بين العرب والأكراد، ت: حسين كبه، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٧، ص٢١٥.

(٤١) لازاريف، الكرد وكردستان عوامل تشكيل القضية، د.م، د.ت، ص٤ : ماجد عبد الرضا، المصدر السابق، ص١٥ : هادي رشيد الجاوشلي، القومية الكردية وتراثها التاريخي، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٧، ص٤٩.

(٤٢) للتفاصيل عنها ينظر: جاسم جليل، بطولة الأكراد في ملحمة قلعة دمدم، ت: شكور مصطفي، بغداد ،١٩٨٣ : عومەر شيخ مەلا دەشتەكى، داستان وگوارنى له فولكلورى كورديدا، هەوليـر، ١٩٩٨، ص ص ٦-٣٢.

(٤٣) حول الأغنية الكوردية كمصدر للتاريخ ينظر: عبد الفتاح على يحيي، بوتان والبوتانيون والأغنية الكردية التاريخية، مجلة كاروان، العدد ٢٨، ١٩٨٥، ص١٥٢ وما بعدها.

(٤٤) على الجزيري، الأدب الشفاهي الكردي، اربيل، ٢٠٠٠، ص ١٦٥ : الجاوشلي، القومية الكردية ...، ص٤٨ : محمد الملا عبد الكريم، في الغناء الكردي، مجلة التراث الشعبي، العدد الخامس، كانون الثاني ١٩٧٠، ص٧٧

(٤٥)

Bernard Lewis ،Emergence of Modern Turkey ،London,1968, P84 .

(٤٦)

Stanford Shaw and Ezel Kural Shaw، History of the Ottoman Empire and Modern Turkey، Vol.2، Cambridge,1970, P47

(٤٧) إبراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني ....، ص٣١.

(٤٨) لبيب، المصدر السابق، ص ١٩.

(٤٩) إبراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني ....، ص٣٢.

(٥٠) ينظر: جدول بعدد المدارس الامريكية وطلابها في الفصل الثالث – المبحث الثاني.

(٥١) فاضل مهدي بيات، التعليم في العراق في العهد العثماني، مجلة المورد، المجلد ٢٢، العدد الثاني، بغداد، ١٩٩٤، ص١٥.

(٥٢) بيات، المصدر السابق، ص ١٠.

الفصل الثاني

الأوضاع السياسية في كوردستان

المبحث الأول: الحكم والإدارة العثمانية وانعكاساتهما على كوردستان
المبحث الثاني: الإمارات الكوردية القائمة
المبحث الثالث: الحملات العسكرية العثمانية على كوردستان

المبحث الأول: الحكم والإدارة العثمانية وانعكاساتهما على كوردستان

مع بداية القرن التاسع عشر أيضا، كانت العلاقة بين البلاد والإمارات الكوردية والدولة العثمانية قائمة على النهج السابق، وقبل ان نتناول الأوضاع السياسية في كوردستان، يجدر بنا ان نتناول جوانب من الحكم والإدارة العثمانية أثارها على كوردستان أيضا، فلقد تركت الأوضاع في الدولة العثمانية انعكاسات مباشرة على كوردستان، وحتى محاولات الإصلاح العثمانية كانت في معظم نتائجها تترك أثارا سلبية على كوردستان وفي مقدمتها العمل على فرض السلطة المركزية للدولة العثمانية على مختلف الأقاليم ومن ضمنها العمل على إنهاء الإمارات الكوردية القائمة.

كانت الدولة العثمانية قد وصلت إلى حالة من الضعف والانحطاط مع بداية القرن التاسع عشر[١]. وكانت تواجه مشاكل خطيرة وعلى مختلف الأصعدة الإدارية والعسكرية والاقتصادية وفي علاقاتها الخارجية، وبروز النزعة الاستقلالية في أقاليمها وتراكمت المشاكل والتعقيدات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[٢]، حتى أصبحت الدولة العثمانية تعتبر دولة ضعيفة[٣]. ومع ذلك فان التوازن الدولي حينذاك كان يستهدف تأخير انهيارها وإنها مع ضعفها لابد من وجودها حيث هي[٤]،لذلك شعر العثمانيون بأنه إذا لم تستيقظ الدولة ويستفيق المجتمع فسوف ينهاران قريبا أمام سطوة التقدم الأوروبي[٥].

فمن الناحية الإدارية كانت الدولة العثمانية مطلع القرن التاسع عشر تتكون من (٢٦) أيالة في أسيا وأوربا وأفريقيا وقد قسمت إلى (١٦٣) لواء وهي مقسمة إلى (١٣٢٠) قضاء وهي تتكون من نواحيها وعدد من المدن الصغيرة والقرى، ولم يكن أحد من حكامها يخضع لنظام معروف من حيث تحديد مدة حكمه في ولايته[٦]، وكنتيجة لضعف الدولة فانه كثيرا ما كانت سيطرة الولاة لا تتجاوز بضعة أميال خارج المدن الرئيسية حيث كانت القبائل تسيطر على المناطق الأخرى وتجبر التجار والمسافرين على دفع الاتاوات[٧]. وكان على الوالي ان يقدم الهدايا للصدر الأعظم، وكان الوالي نفسه يساوم على المناصب التابعة لولايته، أما

الموظفون فليس أمامهم إلا عرقلة مصالح الناس لكي يظفروا ببعض المال[٨]، ويصف مولتكه تلك الأوضاع بالقول ان ((مدخول الدولة الكبير لا زال يأتي من بيع الوظائف وكان على من يرغب في الحصول على وظيفة ان يدفع مبلغا اكبر للدولة .. وعند قدوم الوالي الجديد كان يبدا محادثاته معهم وفي حال عدم الوصول إلى اتفاق كان يعلن الحرب عليهم، وبذلك تزداد القلاقل اتساعا، وحين كان الوالي الجديد يتفق مع أعيان المقاطعة، كان يبدو تخوفه من الباب العالي .. وكان السلطان يفاوض الولاة المجاورين عند تعيين والْ عليها قبل إقراره))[٩]. ويؤكد بيير دي فوصيل ما ذهب إليه مولتكه، حيث ينقل عن تقرير لاحد قناصل فرنسا في بغداد سنة ١٨٤٦م قوله ((كان على الوالي قبل ان يباشر بوظيفته ان يتعهد بدفع المبالغ المفروضة عليه، وان يشتري في الوقت نفسه ضمائر وذمم أفراد حاشية السلطان، ولما كان الموظفون لا يتقاضون رواتبهم في أوقاتها المعينة فان كل واحد منهم يبذل جهوده لابتزاز اكبر المبالغ الممكنة من دافعي الضرائب وإرسال اقل مبلغ ممكن إلى خزانة الولاية))[١٠].

من الأمثلة على هؤلاء الولاة وتعاملهم مع سكان الولاية وطبيعة تلك الإدارة وتأثيرها على كوردستان نورد الوصف التالي لـ (مسيو بوتا) قنصل فرنسا في الموصل عام ١٨٤٥م حيث يقول عن الوالي[١١]((انه غول من الغيلان ومنذ ان وطئت قدماه هذه البقاع فانه هنا برر كل التبرير شهرته السيئة التي يتمتع بها من سوء الأعمال.. ان هذا الإقليم قد سلم يدا بيد إلى لص شقي، قاطع طرق حقيقي من شخص هذا الوالي الذي لا يتورع عن اقتراف كل الأثام، إذ لا قدسية لشي في نظره، فلا حرمة لديه لحياة وأموال وشرف العوائل والأسر))[١٢]. من جانب أخر لابد من الإشارة إلى ان الدولة كانت لا تتدخل في شؤون الإمارات كثيرا أو في كيفية حصولهم على الأموال عن طريق الابتزاز وكأنها لا تمهله كثيرا ليصبح قويا وثريا[١٣]، فلابد من الإشارة إلى ان بعض الولاة عندما كانت تتجمع لديهم القوة العسكرية والمال مع طموحهم الشخصي فانهم لا يترددون عن تحدي الباب العالي وحتى تشكيل خطر جدي على الدولة كما كان الحال مع داؤد باشا والي بغداد[١٤]

ومحمد على باشا والي مصر[١٥].

لعب الجيش العثماني دورا هاما في الإمبراطورية العثمانية سواء في تدعيم سلطتها أو في تقويض أركانها[١٦]،فبينما كانت الدولة العثمانية تعتبر أقوى دولة في أوربا حيث سجلت الانتصارات وأضافت إلى ممتلكاتها مناطق واسعة، فانه بحلول القرن التاسع عشر اصبح ذلك الجيش في وضع لا يؤدي فيه الفرسان والانكشارية واجباتهم العسكرية، ولا يذهبون إلى الحرب إلا كرها وفي الوقت الذي تطورت فيه الفنون الحربية والأسلحة كنتيجة للتطور الاجتماعي في أوربا، فان الجيش العثماني ظل كما كان عليه ولذلك وبسبب هذا التأخر فقد انتقلت الدولة العثمانية من مرحلة الانتصار إلى الاندحار ومن الهجوم إلى الدفاع ومن التوسع في ممتلكاتها إلى فقدانها[١٧]. ومن جانب أخر كانت الحكومة المركزية في صراع مستمر مع القوات الانكشارية التي حاولت ان تملي على السلطان كيفية إدارة البلاد ووقفت ضد الإصلاحات، وبالرغم من المصاعب الاقتصادية للدولة العثمانية فان الجيش الانكشاري شكل عبئا ماليا كبيرا على الدولة حيث بلغت مصروفاتهم عشرون الف كيس، وبإضافة التكاليف الأخرى من الغذاء وغيرها فان الدولة العثمانية كانت تخصص للانكشارية أوائل القرن التاسع عشر ما يقارب من (٢٠) مليون فرنك فرنسي، وهو مبلغ ضخم من ميزانية الدولة حينذاك[١٨]، بالإضافة إلى ذلك فقد تعقد الصراع اكثر بين السلطان والانكشارية (إلى جانب الفرسان والمدفعية الدائمة) حيث قاموا ببيع شهادات أجورهم إلى الأهالي[١٩]، مقابل خصم، وبداؤا بالعمل في التجارة والصناعة وحتى بالاتجار بالمؤن المخصصة لهم، وأصبحت شهادات الأجور نوعا من العملة، حيث شكل مالكيها جماعات الضغط ضد الإصلاحات العسكرية[٢٠].

يعبر (مولتكه) باختصار عن حقيقة وضع الجيش العثماني ويذكر ((ان الجيش العثماني ألان هو بناء جديد على قديم[٢١]، ولذا فقواعده مخلخلة، والباب العالي يعتمد في هذه الأيام على المعاهدات مع الدول الأجنبية لا على هذا الجيش لحماية نفسه وحماية مقاطعاته))[٢٢].

ساهمت عوامل كثيرة في تدهور وانهيار الاقتصاد العثماني منها الحروب المستمرة والإنفاق الكبير لبلاط السلطان وعدم وجود حد فاصل واضح بين ميزانية الدولة وإنفاق السلطان والأساس القديم للنظام المالي والنقدي وانخفاض الإنتاج، أما على الصعيد الفردي فقد كانت الضرائب والرسوم والإيجارات تستنفذ دخل الفلاح، وكان الفلاح على الدوام في حاجة ماسة إلى الاقتراض لا لتشغيل مزرعته بل لتامين الحد الأدني من نفقات معيشته، وكانت هناك عقبات أخرى تواجهه مثل إجبار الدولة للفلاحين على بيع حبوبهم لها وعدم وجود طرق مواصلات جيدة والافتقار إلى الأمن في معظم مناطق البلاد ونقص الأيدي العاملة وخاصة في المناطق التي يسكنها المسلمون بسبب تجنيدهم، وهكذا فان الضرائب وعدم حماية الفلاح من الاضطهاد حرمته من زيادة الإنتاج[٢٣].

ان فقر البلاد انعكس على دخل الدولة العثمانية، فبالإضافة إلى ان فساد نظام الصرف وعدم توحيده قد أثرا تأثيرا كبيرا في التجارة والزراعة والصناعة(٢٤)، فان جباية الضرائب كانت تثري جباتها ومحصول الضرائب في اغلبه يعود إلى الإدارة الجشعة، ولذلك كان على الدولة العمل على الحد من أطماعهم ولم يبق أمام الحكومة سوى مصادرة ميراثهم واقتطاع جزء من أملاكهم[٢٥]. وباختصار فان نظام الدولة العثمانية لم يعد يتلائم مع احدث نظم القرن التاسع عشر الإدارية والمالية، فالدولة العثمانية لم تكن لديها ميزانية عامة[٢٦]، الأمر الذي أدى إلى الفوضى الاقتصادية، وكان موظفو الحكومة ينفقون كما يحلو لهم دون ان يكون هناك إشراف إداري أو مالي[٢٧].

كانت تلك الأوضاع والإدارة المتخلفة في الدولة العثمانية تترك أثارها السلبية بشكل واضح على كوردستان وهي التي دفعت (مولتكه) إلى القول ((ان الكورد كانوا يتضايقون من شيئين، الأول: الضريبة والثاني: أداء الخدمة العسكرية للدولة))[٢٨].

ساهمت الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية هي الأخرى في تدهور أوضاعها، ورغم ان هناك من لا يعتبر تلك الامتيازات عاملا حاسما في تفكك